مخطوطة الحكمة

تأليف: الشاعر سعدي الشيرازي

اعداد وضبط: مكتبة نوافذ الحكمة





شعار المكتبة التي قامت بإعداد الكتاب

تاريخ نشر الترجمة الإنجليزية: 1906/ تاريخ إعداد الكتاب بالعربية: 2025

ملاحظة تحريرية

إن هدف محرري هذه السلسلة واضحٌ للغاية. فهم يتمنون قبل كل شيء أن تكون هذه الكتب، بأسلوبهم المتواضع، سفراءً للنوايا الحسنة والتفاهم بين الشرق والغرب، بين عالم الفكر القديم وعالم العمل الحديث. وفي هذا المسعى، وفي مجالهم الخاص، ما هم إلا أتباعٌ لأسمى مثالٍ في هذا البلد. وهم على ثقة بأن المعرفة الأعمق بالمُثُل العليا والفلسفة السامية للفكر الشرقي قد تُسهم في إحياء روح الإحسان الحقيقية التي لا تحتقر ولا تخشى الأمم ذات العقيدة أو اللون الآخر. وأخيرًا، وإذ يشكرون الصحافة والجمهور على الاستقبال الودود للغاية الذي حظيت به سلسلة "حكمة الشرق"، فإنهم يودون التأكيد على أنهم لم يدخروا جهدًا في تأمين أفضل المتخصصين لمعالجة مختلف المواضيع المطروحة.

ل. كرانمر-بينغ

س. أ. كاباديا

دار نشر أورينت،

٤، مباني هاركورت،

إنر تمبل،

لندن.

مقدمة الكتاب

وُلد الشيخ مصلح الدين سعدي، الشاعر الفارسي الشهير، في شيراز بين عامي ١١٧٥ و١١٩٣ ميلاديًا. ويُعتقد عمومًا أن والده، عبد الله، شغل منصبًا ثانويًا في بلاط حاكم فارس الأتابك، سعد بن زنكي (١١٩٥-١٢٢٦ ميلاديًا)، الذي اشتُق منه اسم سعدي الشعري.

بدأ دراسته في مسقط رأسه، ثم انتقل بعد فترة إلى الكلية المحمدية ببغداد، حيث تصادف أن أحد النبلاء الأثرياء، بعد أن علم بفقر الطالب الشاب، صادقه، الذي حالفه الحظ بالحصول على مساعدة من أحد أساتذة الكلية. وفي نهاية المطاف، نال سعدي زمالة. انغمس بعد ذلك في حياة تأملية ودراسة اللاهوت، بينما وجدت تطلعاته التقية والعبادية منفذًا لها في الحج إلى مكة المكرمة - وهو عملٌ نابعٌ من حماسةٍ مقدسةٍ كرره ما لا يقل عن أربع عشرة مرة، معظمها سيرًا على الأقدام. ونظرًا لطبيعته الدينية، اكتسب سعدي في نهاية المطاف سمعةً طيبةً بالقداسة، تُوجت بلقب "الشيخ" (رجلٌ ذو مكانةٍ ومكانة)، الذي اشتهر به على نطاقٍ واسع. لسنواتٍ عديدة، كرَّس حياته للسفر بشكلٍ كبير؛ يمكن استخلاص هذا من كلماته: "لقد تجولت في مختلف أنحاء العالم، وفي كل مكان اختلطت بحرية مع السكان. جمعتُ شيئًا من كل زاوية، والتقطتُ سنبلة من كل حصاد."1

وفي مناسبة أخرى، نتعلم من روايته أنه كان غاضبًا جدًا من الطقوس الوثنية التي تُمارس في معبد سومنات الشهير في غوجارات لدرجة أنه ألقى الكاهن في بئر دون قصد.

وتكشف حكاية رواها بنفسه عن الحدث المهم التالي في مسيرته المهنية. "مللت من صحبة أصدقائي في دمشق، فهربتُ إلى قفار القدس القاحلة وعاشرتُ الوحوش، حتى أسرني الفرنجة،2 وأُجبرت على حفر الطين، مع اليهود، في تحصينات طرابلس. مرّ بي أحد أعيان حلب، صديقي القديم، فذكرني. قال: "يا لهذا الحال! إلى أين أنت ذاهب؟" أجبته: "لما رأيتُ أني أستطيع أن أضع ثقتي في الله وحده، اعتزلتُ الجبال والبراري، هربًا من الناس. لكن انظروا إلى حالتي الآن، وقد أصبحتُ حبيس حظيرة مع أشرار لا يستحقون اسم الرجال. أن أكون مقيدًا بالسلاسل مع الأصدقاء خير من أن أكون حرًا أتمشى في حديقة مع الغرباء". أشفق على حالتي البائسة، وافتداني من الفرنج بعشرة دنانير، وأخذني معه إلى حلب. كان لصديقي ابنة، فزوجني منها، وأهداني مئة دينار3 مهرًا لها. بعد فترة، كشفت زوجتي عن طباعها السيئة، المشاكسة، العناد، والإساءة؛ فتلاشى كل ما في حياتي من سعادة. وقد قيل بحق: "المرأة السيئة في بيت الرجل الفاضل هي جحيمه - حتى في هذه الدنيا". انتبه كيف تتواصل مع امرأة سيئة. يا رب، نجنا من هذه المحنة!

كان سعدي بارعًا في الرد - يكفي مثالان. عاتبته زوجته ذات مرة قائلةً: "ألستَ المخلوق الذي فداه أبي من الأسر عند الفرنج بعشرة دنانير؟" فأجابته: "بلى، لقد فداني بعشرة دنانير، واستعبدني لك بمئة."

وفي مناسبة أخرى، عندما استاء شاعر في تبريز من تدخل منافسه سعدي، سأل الأخير فجأةً: "من أين أتيت؟" فأجابه: "من تربة شيراز الجميلة."

"في الواقع،" كان رد السائل ساخرًا؛ "الشيرازيون في تبريز أكثر عددًا من الكلاب". "على عكس مدينتنا تمامًا،" هكذا قال شاعر شيراز سريع البديهة، "حيث التبريزيون أقل شأنًا من الكلاب". لم ينتهِ سباق الهجاء، فبعد صمت، جدد رجل تبريز هجومه مشيرًا إلى صلع رأس منافسه. فرفع إناءً صادف وجوده في يده، وقال: "كيف تكون رؤوس الشيرازيين صلعاء كقاع هذه الإناء؟" فأجابه بسرعة وبلا رحمة: "وبالمثل، تكون رؤوس التبريزيين فارغة كجوف الإناء".

لم يُثبط سعدي عزيمته بسبب المصائب التي لحقت بزواجه الأول، فتزوج خلال رحلاته في شبه الجزيرة العربية من امرأة ثانية، ويُعتقد أنه عاش معها في وئام - على الأقل، بالنظر إلى الألم النفسي الذي شعر به عندما وثق وفاة ابنه الشاب، نسل هذا الزواج.

ومع ذلك، يبقى الشك قائمًا فيما إذا كان سعدي قد حظي بقدر كبير من السعادة الأسرية، إذ يُقدم في إحدى قصائده نصيحةً: "اختر زوجةً جديدة كل ربيع - في يوم رأس السنة؛ فتقويم العام الماضي لا يُجدي نفعًا". كان كرمه في استضافة الضيوف عظيمًا وسخيًا، لدرجة أنه في إحدى المرات، يئس شاعر منافس، كان قد أمتع ضيوفه بكرم ضيافة أميري، من ردّ كرم مضيفه السابق، فقدّم للكاتب، الذي أصبح ضيفًا الآن، أبسط وأبسط الأطباق. وقد صيغ شرح هذا الإجراء بلغة لافتة للنظر. "كنت سأجد صعوبة بالغة في إهدائك عشاءً ليوم واحد، ولو بالأسلوب الفاخر الذي ساد مأدبتك المضيافة خلال الأيام الثلاثة التي سعدت بقضائها معك. لكن بهذه الطريقة الاقتصادية في الضيافة، استطعت أن أستمتع لسنوات بصحبتك، دون أن أتكبد عناءً".

في أواخر حياته، اعتزل سعدي في زنزانة قرب شيراز، حيث قضى وقته في عبادات دينية، واستقبال زيارات من أشراف البلاد.

يكتب السير غور أوزلي: "كان من عادة زواره المرموقين أن يأخذوا معهم اللحوم وجميع أنواع الأطعمة، وكان الشيخ، بعد أن يتناول سعدي ورفاقه، يضع ما تبقى منها في سلة معلقة بنافذته، ليتمكن حطاب شيراز الفقراء، الذين يمرون يوميًا بصومعته، من إشباع جوعهم أحيانًا. ويُقال، ويُعتقد اعتقادًا راسخًا في بلاد فارس، إنه في يوم من الأيام، اقترب رجل يرتدي زي

حطاب من السلة، بقصد النهب، ولكن ما إن وصلت يده إلى محتوياتها حتى جفت وذبلت. فاستنتج المذنب أنها معجزة من صنع الشيخ، فصرخ إليه طالبًا العون. فقال له الشيخ بنبرة توبيخ: "إذا كنت حطابًا، فأين يداك المتقرحتان، وجروح الأشواك، وجسدك المنهك من العمل؟ أو إذا كنت لصًا، فأين..." حبل تسلقك، وذراعيك، وجرأتك القاسية التي كان ينبغي أن تمنعك من هذا التأوه والبكاء؟ لكنه أشفق على الجاني التعيس، ودعا له بالشفاء، بل ومنحه، مع النصح المناسب، جزءًا من الطعام الذي حاول عبثًا سرقته خلسةً.

وعندما حلت سلالة المغول في بلاد فارس محل الأتابكة (1256 م)، تصادف أن أجبر القائد العسكري لشيراز بائعي الخضراوات وسوق المدينة على شراء بعض التمور التي لم تكن ذات قيمة اسمية من حكامهم، مقابل مبلغ كبير. أُبلغ الشيخ سعدي بالأمر، فوجّه رسالة شعرية إلى الحاكم المغولي، مشيرًا إلى أن شقيق الشاعر كان فقيرًا لدرجة أنه "لا يرتدي بنطالًا، ومع ذلك اضطر لشراء التمر بثمن باهظ. وأضاف: "لا يوجد مصيبة أسوأ من هذا". وقد نجحت هذه المحاولة، ولم يقتصر الأمر على منح التمور مجانًا لشقيق الشيخ الفقير، بل وُضع "مبلغ زهيد" تحت تصرفه كهدية من الحاكم "لأنه علم بفقر الرجل". عندما اعتلى ثاني ملوك المغول في بلاد فارس العرش (1265م)، صادف ذات يوم، برفقة بعض وزرائه، لقاء سعدي، فاندهش حين وجد أن الشاعر قد حظي على أيدي هؤلاء الوزراء باهتمام أكبر مما حظي به هو، رغم كونه شخصية ملكية. ولما استفسر جلالته عن سبب هذه الظرف الغريب، سُئل ردًا عما إذا كان قد سمع بالشيخ العظيم الذي ذاع صيته في جميع أنحاء العالم. وكانت النتيجة استدعاء الشيخ إلى حضرة الملك وطلب منه "إبداء بعض النصائح". فأجابه: "لا تطيق شيئًا من الدنيا إلى الآخرة إلا جزاءً أو عقابًا، والخيار لك الآن". شعر الملك باللوم، فعند مغادرته همس الشيخ في أذن الملك بالأبيات التالية: "الملك ظل الله؛ والظل ينبغي أن يكون رفيقًا وثيقًا لجوهره. النفس الدنيئة عاجزة عن الخير إذا لم يكن السيف ملكًا. كل حق يظهر في العالم دليل على استقامة الملك. لا فائدة للمملكة ممن يكون كل فكره خطأً".

5

وفي نفس العهد، طرح أحد الوزراء على سعدي خمسة أسئلة، فدُعي للإجابة عليها. (1) هل الشيطان أم الإنسان أفضل؟ (2) كيف أتصرف إذا لم يتصالح عدوي معي؟ (3) هل من يؤدي فريضة الحج إلى مكة أفضل ممن أهملها؟ (4) هل سليل عليّ أفضل من غيره؟

(5)هل يقبل الشاعر هديةً عبارة عن عمامة و500 دينار كمصروف معيشة لطيوره؟ ظنّ الرسول، حامل الرسالة، أنه قد يُحسب من "الطيور" بفائدة، فوضع في جيبه 150 دينارًا، فلم يبق في رصيده أكثر من 350 دينارًا. وكان ردّ السعدي، الذي دلّ على اكتشافه السرقة، كالتالي:

"لقد أرسلتَ لي هديةً كريمةً ومالًا. فليكثر ثروتك، وليُداس أعداؤك! فليكن لك مقابل كل دينار سنة من عمرك، لتعيش ثلاثمائة وخمسين عامًا".

وبعد أن تلقى هذا السرد الشعري، أصدر الوزير أمرًا إلى الخزانة بما لا يقل عن 10000 دينار؛ لكن أمين الصندوق كان قد توفي في تلك الأثناء، وهو ما لفت انتباه الشاعر إلى راعيه. وعندما علم الأخير بالأمر، زاد التبرع إلى ما لا يقل عن 50,000 دينار، واقترح تخصيص جزء من المال لبناء منزل في شيراز لإيواء المسافرين. ويبدو أن أربعة من الأسئلة المطروحة ظلت دون إجابة.

توفي الشيخ سعدي في سن متقدمة جدًا في شيراز عام 1291 م. وقد تدهور ضريحه، الذي كان يحظى في الأصل بتقدير كبير ومزينًا بمقتطفات من قصائده، إلى حد ما، على الرغم من أنه يُعتقد أن ما يكفي منه لا يزال يمثل مثوى أحد أمهر شعراء وأدباء بلاد فارس. "سعدي"، هكذا وصفه مؤرخ محلي، "كان قصير القامة، وغير وسيم. كان رأسه طويلًا للغاية، مما يدل على مظهر جاد وورع. كان لباسه بسيطًا للغاية، يتكون من عمامة، وثوب أزرق طويل يرتديه فوق معطفه الداخلي، وعصا في يده. كانت شخصية هذا الشاعر الجليل نبيلة للغاية، ومناسبة لشخصية عظيمة. كان في غاية اللطف والود مع أصدقائه، وكريمًا مع أعدائه. تفوق في ذكائه على كل كاتب في عصره، وكانت حسه الفكاهي ناجحًا لدرجة أنه كان قادرًا على إضحاك أكثر الوجوه صمتًا وكآبة في صحبته. كان فتىً بين حلقة من الشباب ذوي الخبرة، وحكيمًا بين مجتمع من رجال الدين. باختصار، كان عالمًا بارعًا، وأستاذًا بارعًا في اللغة الفارسية الصرفة". بلاغة، ومعلمٌ لا تشوبه شائبة في الإلهيات، ورسامٌ بارعٌ للحياة والأخلاق.

أما الأعمال التي اشتهر بها الشيخ سعدي - "العندليب ذو ألف أغنية" - فهي:

(أ) البستان، وهي قصيدة بديعة تُجسّد المبادئ الأخلاقية وقواعد الحياة؛

(ب) جولستان، وهو ربما الكتاب الأكثر قراءةً في الأدب الفارسي. لقد كتب إيستويك، عند نشر ترجمة هذا الديوان الرائع، قائلاً: "يتلذذ فيه تلميذ المدرسة بدروسه الأولى، ويقتبسه المتعلم، وقد أصبحت العديد من التعبيرات فيه مأثورة. وعندما نتأمل في زمن كتابته - النصف الأول من القرن الثالث عشر - وهو زمن خيّم فيه ظلام دامس على أوروبا، على الأقل ظلام كان من الممكن أن يكون، ولكن للأسف! لم يُشعَر به - فإن عدالة العديد من مشاعره، والآراء المجيدة للصفات الإلهية الواردة فيه، أمرٌ جدير بالملاحظة حقًا".

(ج) باند ناماه، أو مخطوطة الحكمة،5 ديوان شعر صغير يجسد تعاليم لا تُسيء إلى فلسفة هذا القرن العشرين من العصر المسيحي. هذا العمل، الموجز والأنيق، يحظى بشعبية واسعة في جميع أنحاء الشرق الناطق بالفارسية. قد يكون هذا صحيحًا، إذ إنه، بالإضافة إلى جمال

أسلوبه، مكتوب بوزن ينساب بسلاسة، ويثبت كلمات القصيدة في الذهن. ومن ثم، تُحفظ الأبيات في الذاكرة إلى حدٍّ ربما لا يتجاوزه أي عمل في اللغة الفارسية. ويمكن الاستشهاد بأبيات بايرون المعروفة باسم "وداع العاشق الأخير" كمثال على إيقاع مماثل لإيقاع "لفافة الحكمة" لسعدي. ويمكن الاستشهاد بالاثنين جنبًا إلى جنب، وهو أمرٌ مفيد.

"ورود الحب تُبهج حديقة الحياة".

"كريمة بخشة يا بر هالإيما".

يبقى أن نضيف أنه لم تُنشر أي ترجمة لكتاب "مخطوطة الحكمة" في هذا البلد خلال المائة عام الماضية (نص غلادوين - الذي كان ناقصًا بعض الشيء في حد ذاته - صدر مع ترجمة ملحقة عام ١٨٠١)، على الرغم من أن باحثًا هنديًا ترجمه إلى الإنجليزية في بومباي قبل حوالي عشرين عامًا. كلا العملين نفدا من الأسواق، ولأغراض عملية، يُمكن القول إنه لا يُمكن للجمهور البريطاني الحصول على ترجمة. ولذلك، ربما لا داعي للاعتذار عن هذا العمل.

آرثر ن. وولاستون.

غلين هيل، والمر،

٦ مايو ١٩٠٦.

مخطوطة حكمة سعدي

بسم الله الرحمن الرحيم!

يا رحيم! ارحم حالنا؛

فإننا أسرى في فخ الشهوة!

ليس لنا وليٌّ سواك!

أنت الغفور الرحيم، غافر ذنوبنا نحن المذنبين!

اجتنب سبيل الضلال؛

واغفر لنا ذنوبنا، وأرِنا الصلاح.

9

في مدح محمد

صلى الله عليه وعلى آله وسلم!

ما دام اللسان ثابتًا في الفم،

فليكن مدح محمد لذةً.

حبيب الله، أسمى الأنبياء،

الذي وسادته سماء المجد.

الفارس الذي قهر الأرض ببراقه الكستنائي،

الذي تجاوز قصر الرواق الأزرق!

١ الجواد الذي يُفترض أن محمدًا قد زار الجنة على ظهره.

١٠

خطاب إلى الروح

انقضت أربعون عامًا من وجودك الثمين؛

ومع ذلك لم تتجاوز حياتك مرحلة الطفولة.

لقد قضيت كل شيء في الشهوات والفجور؛

ولم تتصرفي بصلاح ولو للحظة.

لا تعتمدي على حياة غير مستقرة؛

ولا تثقي بأنكِ في مأمن من عبث الحظ.

١١

في مدح الكرم

يا نفس! من يفرش مائدة الإحسان
يشتهر في عالم الكرم.
الكرم سيجعلك مشهورًا في كل مكان؛
الكرم سيضمن لك السعادة.
لا يوجد شيء في الدنيا سوى الكرم،
ولا يوجد شيء أكثر رواجًا في أي سوق!
الكرم سيكون مصدر البهجة؛
الكرم سيكون حصاد الحياة.
أنعشي قلب العالم بالكرم؛
املأ الأرض بذكر كرمك.
استمر في الكرم إلى الأبد؛
فإن خالق النفس كريم.
١٢

وصف الإحسان

الإنسان الطيب يختار الإحسان؛

فالبشرية تزدهر بالإحسان.

كن فاتحًا للعالم باللطف والإحسان؛

كن رئيسًا في مملكة اللطف والكرم.

الإحسان صفة أهل التقوى،

الإحسان واجب المنعمين.

الإحسان محكّ شرك الخطيئة،

الإحسان دواء كل داء.

لا تكن، إن استطعت، خاليًا من الإحسان،

لكي تنتزع كرة التميز بفضل الإحسان.

١٣

في إدانة البخل

لو سقطت الكواكب في يد البخيل،

لو كان الحظ عبدًا للبخيل،

لو كانت ثروة قورح في يده،

لو كان ربع الكون خاضعًا له،

فلا يستحق البخيل أن تذكر اسمه.

وإن أصبح الحظ خادمًا له،

فلا تُعرِ اهتمامًا لممتلكات البخيل-

ولا تتحدث عن ممتلكاته.

لو كان البخيل عابدًا في البر والبحر،

لكان كما هو مأمور به - مجهولًا في الجنة.

وإن كان البخيل غنيًا بالممتلكات،

فإنه سيعاني من ضيق، كما لو كان فقيرًا.

يتمتع المحسنون بثمار ثرواتهم؛

ويعاني البخيلون من حزن على ذهبهم وفضتهم.

١ رجلٌ يُضرب به المثل في ثرائه وجشعه.

١٤

وصف التواضع

يا نفس! إن اخترتِ التواضع،

فأهل الدنيا أصدقاءكِ.

التواضع يزيدكِ مكانةً،

كما يستمد القمر نوره من الشمس.

التواضع مصدر الألفة،

فإن كرامة الصداقة ترتفع.

التواضع يرفع الإنسان،

التواضع زينةٌ لأصحاب المقامات.

كل إنسان متواضع؛

لا يليق بالإنسان إلا الكرم.

الحكيم يختار التواضع؛

الغصن المثمر يستقر على الأرض.

التواضع يزيدكِ شهرةً،

ويوصلكِ إلى الفردوس الأعلى.

التواضع مفتاح باب السماء؛

هو زينةٌ للجاه والكرامة.

من اعتاد التواضع

ينعم بالمكانة والسلطة.

من وُلد للقيادة،

فإنه لمن دواعي سروره أن يجد فيه التواضع.

التواضع سيجعلك محبوبًا في الدنيا

ستصبح عزيزًا على قلوب الناس كعزة أنفسهم.

لا تحجب التواضع عن الناس،

فبهذا تسحب رقبتك (من الحيرة) كما تسحب سيفًا (من غمده).

التواضع من جانب المتعالي أمرٌ محمود.

إذا كان المتسول متواضعًا، فهذه طبيعته.

15

فى إدانة الكبرياء

احذر يا بني! أن تتكبّر،

لئلا يفلت الحظ من بين يديك.

الكبرياء من جانب الرجل الحكيم ليس جميلًا؛

وهذا السلوك محزنٌ في حالة الشخص الحكيم.

الكبرياء عادة الجاهل،

ولا يصدر الكبرياء من الرجال الأذكياء.

الكبرياء سبب سقوط عزازيل،1 وأدى إلى وقوعه في شرك الملعونين.

من كان متكبرًا بطبعه،

فرأسه ممتلئ بالكبرياء يفوق الخيال.

الكبرياء مصدر الشقاء،

الكبرياء طبيعة الأشرار.

ما دمتَ تعرف الكبرياء، فلماذا تسعى إليه؟

إن فعلتَ هكذا، فأنتَ تُخطئ.

في فضل العلم

يجد ابن آدم الكمال بالعلم، لا بالكرامة ولا بالمكانة ولا بالثروة ولا بالملك.

كالصخر الزيتي، يذوب المرء في طلب العلم،

فبدون العلم لا يعرف الله.

الحكيم طالب علم،

فسوق الحكمة نابض بالحياة.

من حالفه الحظ في الخلود،

يختار طلب العلم.

هذا السعي للمعرفة واجب عليك،

حتى لو اضطررت إلى عبور الدنيا.

انطلق، وتمسك بذيل العلم،

فإن العلم يوصلك إلى مقامات خالدة.

لا تطلب إلا العلم إن كنت حكيمًا،

فمن الإهمال أن تبقى بلا حكمة.

بالعلم يأتيك الكمال في الدين والدنيا،

فبالعلم تُصلح أمورك.

١٧

فيما يتعلق بتجنب صحبة الجاهلين

يا نفس! إن كنتِ حكيمة وذكية، فلا تختاري صحبة الجاهلين.

انصرفي عن الجاهلين كالسهم؛

ولا تختلطي بهم كما يختلط السكر بالحليب.

أن يكون لك تنين صديق في الكهف،

خير من أن يكون لك رفيق جاهل.

أن يكون عدو نفسك ذكيًا،

خير من أن يكون لك صديق جاهل.

من الجاهل لا يصدر إلا السيئات،

ولا يسمع منه أحد إلا الكلام البذيء.

لا أحد في الدنيا حقير كالجاهل،

فما من شيء أهون من الجهل.

نهاية الجاهل دار الهالكين،

فإن الجاهل نادرًا ما يختم حياته بخير.

من الأفضل أن يُذل الجاهل،

فمن اللائق أن يجد الجاهل العار.

ومن الصواب أن نتجنب الجاهلين،

فمنهم ينشأ العار في الدنيا والآخرة.

١٨

وصف العدالة

بما أن الله قد وهبك كل شيء حسب رغبتك،

فلماذا لا تُثمر العدل في النهاية؟

بما أن العدل زينة الملوك،

فلماذا لا تُعلق قلبك عليه؟

ستُقام مملكتك

إذا جاء العدل في عونك.

بما أن نوشروان اختار العدل،

فإن اسمه يُخلّد الآن في الذاكرة لجوده.

يحل السلام على المملكة من آثار العدل،

فمن العدل تُحقق المملكة رغباتها.

لا يوجد مهندس في العالم أفضل من العدل،

فما من شيء أفضل من الاستقامة.

اجعل العالم عامرًا بالعدل؛

املأ قلوب البشر بالبهجة بالعدل.

ماذا ستكون عاقبتك؟

حتى هذا، أن يكون لك اسم ملكٍ بار.

أتريد علامة حظٍ سعيد؟

أغلق باب الظلم على البشرية؛

لا تحجب رضاك عن رعيتك؛

أشبع رغبات الساعين إلى العدل.

19

في إدانة الظلم

يشهد العالم خرابًا بسبب تقصير العدالة،

كحديقة جميلة من ريح الخريف.

لا تستسلم للظلم مهما كان،

لئلا تغرب شمس الملكية.

من أشعل نار الظلم في العالم

يُثير تنهدًا من أهل الأرض.

وإن تنهد طاغية من النفس

فإن الضيق يُشعل لهيبًا في الأرض والماء.

لا تظلم الفقراء العاجزين،

دون أن تُفكر في ضيق القبر.

لا تُعرّض نفسك لسوق الظلم؛

لا تُغفل دخان قلوب البشر.

يا مُستعجل! لا تكن ظالمًا للبشرية،

فإن غضب الله سيُصيبك فجأة.

لا تظلم الفقراء المتواضعين،

فإن الطاغية سيُهلك بلا شك.

٢٠

وصف الرضا

يا نفس! إن اكتسبتِ الرضا،

ستُسيطرين على مملكة الراحة.

إذا ضاق بك الفقر، فالغنى في نظر الحكماء لا قيمة له.

الفقير لا يُخزى بالفقر،

فالبشرية تكتسب المجد من الفقر.

الذهب والفضة هما فخر الأغنياء،

أما الفقراء فلديهم راحة داخلية.

لا تحزن إن لم تكن غنيًا،

فإن الملك لا يستطيع أن يفرض الضرائب على المسكين.

القناعة في كل الأحوال أفضل.

من وُلد تحت نجم محظوظ فهو سعيد.

أنر روحك بنور الرضا،

إن كان لديك أي بصيص أمل.

٢١

في إدانة الجشع

احذر أيها المتورط في شرك الجشع،

لئلا تصاب بالجنون وتسكر بكأس الجشع.

لا تُبذر حياتك في جمع الثروة،

فإن قدرًا فخاريًا لا يساوي اللؤلؤة. من وقع في فخ الجشع، يُهدر ثمار حياته.

أُقر بأن ثروة قورح كلها لك، وأن ثروات الأرض كلها معك، ولكنك في النهاية ستُحاط بالأرض، كالبائس، من ضيق القلب.

لماذا تُرهق نفسك بضيق الذهب؟

لماذا تحمل عبء الضيق، كما لو كنت حمارًا؟

لماذا تُرهق نفسك بضيق الغنى،

فإنه سيُهلكك فجأةً.

سيُجرف.

هل أسلمت قلبك لصورة المال؟

فبتذوقه تصبح رفيقًا للنعمة التائبة.

لقد أصبحتَ عاشقًا لوجه الذهب،

حتى أن أمورك مُضطربة ورأسك مُضطرب.

لقد أصبحتَ فريسةً لمطاردة الذهب،

حتى أنك لا تُفكر في يوم الدينونة.

لا يفرح قلب ذلك الحقير،

الذي يُبدد الإيمان في الريح بسبب الدنيا.

1 رجلٌ يُضرب به المثل في ثرائه وجشعه.

22

وصف الطاعة والعبادة

عندما يكون الحظ عبدًا للإنسان،

يكون قلبه دائمًا مُتجهًا نحو الطاعة.

لا يليق أن يُحوّل المرء رأسه عن العبودية،

ما دام الحظ يُنال بالطاعة.

السعادة تُنال بالطاعة؛ والقلب يُستضاء بنور الطاعة.

إن شددت أزرك بالخضوع،

فإنك ستفتح باب السعادة الأبدية.

العاقل لا يُدير رأسه عن الطاعة،

فما من فضيلة أسمى من الطاعة.

اجعل وضوءك مُنعشًا بماء الطاعة،

لكي تُصبح غدًا حرًا كما من النار.

أقم صلاتك بإخلاص،

لتنال الرخاء الأبدي.

تنبعث استنارة الروح من الطاعة،

كما تستمد الأرض نورها من الشمس.

اعبد الخالق؛

اجلس في أبواب الطاعة.

إن اخترت عبادة الخالق،

ستكون قائدًا في مملكة الحظ.

ارفع رأسك ولا تُبقِ الزهد في جيبك، فالفردوس مسكن الزاهدين.

أضئ سراج روحك بالتقوى،

لتسعد كالأغنياء.

من لبس ثوب الدين

لا يخشى فتن يوم القيامة.

23

إدانة الشيطان

يا نفس! من غلبه الشيطان،

فهو ليل نهار في فخ الخطيئة.

من كان الشيطان سيده،

فكيف يعود إلى سبيل الله؟

يا نفس! احذري أن تستسلمي للخطيئة،

لكي تتحرري غدًا كما من النار.

الحكيم يتجنب الذنب،

كما يذوب السكر في الماء.

الحسن الخلق لا يرتكب الخطيئة،

لئلا يصبح كضوء الشمس المختبئ بين الغيوم.

لا تستسلم لشهواتك، لئلا تُخطف فجأةً إلى الهلاك.

إن لم ينحرف قلبك عن الخطيئة،

فإنك بين أدنى الدناءين سيكون مسكنك.

لا تهدم بيت الحياة

بسيل من السيئات والآثام.

إن ابتعدت عن الخطيئة والإثم،

فلن تبتعد عن جنة الفردوس.

٢٤

في شرح خمر المودة

والحب

يا ساقي الخمر! هات خمرًا كأنه ثوب من نار،

فإن صاحب النفس يشتهي هذا النشوة (الدينية).

النبيذ الياقوتي في الكأس الذهبية

مُلهم للنفس، كأنه لؤلؤة جميلة.

مرحبًا بنار الرغبة لمن ألهمهم الحب!

مرحبًا بآلام أسياد الحب اللذيذة!

هات هذا الخمر كماء الخلود، فمن عبيره تجد النفس خلاصًا من الهم!

طوبى للنفس التي تشتاق إلى صديق!

طوبى لمن وقع في فخ المودة!

طوبى لمن عشق وجه الصديق!

طوبى لمن سكن ركن الصديق!

صديقٌ كخمرٍ يُنعش النفس، سلامٌ!

الخمر - أنقى من وجهٍ جميل!

طوبى لأهل الروح الذين يعشقون الخمر!

طوبى لنكهة الخمر لأهل الروح!

في طبيعة الوفاء

يا نفس! ثبتي أقدامكِ في الوفاء،

فإن المال لا يُقاوَم إلا بطابعه.

إن لم تُغيّري مسار الوفاء،

فأنتِ صديقة في قلوب أعدائك.

لا تُغيّري وجه روحكِ عن دار الوفاء،

لكي لا تخجلي من وجوه أصدقائكِ.

لا تُخرجي قدميكِ من درب الوفاء،

فالاستبداد لا يليق بالأصدقاء.

من الخطأ أن تُفارقي أحباءكِ؛

ومن المُناقض للوفاء أن تُفارقي رفاقكِ.

قلة الوفاء من صفات النساء.

لا تتعلمي السلوك غير اللائق من هذا الجنس.

٢٦

في فضل الشكر

من امتلأ قلبه بالشكر لله،

فليس من اللائق أن يقيد لسانه بالحمد.

لا يُعلّم روحك إلا الشكر لله،

فإن حمد الخالق واجب.

تزداد أموالك وممتلكاتك بالشكر؛

ويدخل النصر بابك بفضل الشكر.

لو شكرت الله إلى يوم القيامة،

لما أديت جزءًا من ألف جزء (من واجباتك).

بلى، من الأفضل أن تنطق بالشكر،

فشكره زينة الإسلام.

إن لم تكبح لسانك عن الشكر لله،

فستنال سعادة أبدية.

٢٧

في شرح الصبر

إن كان الصبر عونًا لك،

فستنال سعادة أبدية.

الصبر صفة الأنبياء؛

لا يحيد المتدينون عن هذا الطريق.

الصبر يفتح باب رغبات الأصدقاء،

فإلا الصبر فلا مفتاح لها.

الصبر يمنحك رغبة قلبك،

فعلى أيدي البشر تُحل مشاكلك.

الصبر خيرٌ في كل حال،

ففي هذه الجملة معانٍ كثيرة.

الصبر يمنحك رغبتك،

ويريحك من الألم والشقاء.

الصبر مفتاح باب طموحاتك،

وموسّع مملكة الرغبات.

تحلّ بالصبر إن كنت متدينًا،

فإن العجلة من صفات الشياطين.

٢٨

وصف الاستقامة

يا نفس! إن اخترتِ الاستقامة،

فإن الحظّ سيُصبح لكِ رفيقًا مباركًا.

الحكيم لا يُحيد رأسه عن الاستقامة،

فمن الاستقامة يُرفع اسم الإنسان.

إذا تنفستَ الحقيقة في الصباح، ستتجنب ظلمة الجهل.

احذر أن لا تتنفس إلا الاستقامة،

فإن اليمين تتفوق على اليسار،

فلا شيء في الدنيا أفضل من الاستقامة،

ففي برعم الاستقامة لا شوكة.

29

في إدانة الكذب

من يتبع الظلم،

فأين يجد النجاة يوم القيامة؟

من اعتاد الكذب

لا بهاء لسراج نفسه.

الكذب يُخزي الإنسان،

الكذب يسلب الإنسان كرامته.

الحكيم يستحي من الكذاب،

فما من أحدٍ يُقدّره.

يا أخي**!** احذر أن تكذب،

فالكاذب محتقرٌ وبلا سمعة.

لا شيء أسوأ من الظلم؛

يا بني**!** من ذلك ينشأ فقدان السمعة الطيبة.

30

في تقلبات الحظوظ واختلاف المقامات

انظر إلى هذه الكرة الأرضية، المتألقة كالذهب،

سقفها ثابت بلا أعمدة!

انظر إلى ستارة الكرة الدوارة!

انظر إلى مصابيحها المتلألئة!

واحد راعٍ، وآخر ملك؛

واحد يتوسل للعدالة، وآخر يطمع في عرش؛

واحد سعيد، وآخر بائس؛

واحد مزدهر، وآخر تعيس؛

واحد يدفع الضرائب، وآخر يجلس على عرش؛

واحد مُعلّى، وآخر مذلول؛

واحد يجلس على حصير، وآخر على عرش؛

واحد في خرق، وآخر يرتدي حريرًا؛

واحد لا يملك خبزًا، وآخر يتلذذ بالثروة؛

أحدهم خائب، وآخر مزدهر؛

أحدهم مبتلى، وآخر ينعم بالغنى؛

أحدهم مصيره زائل، وآخر مستقر إلى الأبد؛

أحدهم ينعم بالصحة، وآخر سقيم؛

أحدهم ينعم بالعمر، وآخر شاب صغير؛

أحدهم يمتلئ بالصلاح، وآخر يعيش في الخطيئة؛

أحدهم مولع بالصلاة، وآخر مدمن على الخداع؛

أحدهم مستقيم ومتدين،

وآخر غارق في بحر من الجريمة والشر؛

أحدهم حسن الخلق، وآخر متسرع المزاج؛

أحدهم صبور، وآخر مشاكس؛

أحدهم مرتاح، وآخر متألم؛

أحدهم في ضيق، وآخر مزدهر؛

أحدهم زعيم في عالم الترف،

وآخر أسير في فخاخ الشدائد؛

أحدهم مستقر في جنة الراحة،

آخر يرتبط بالهمّ والألم والضيق؛

واحدٌ كوردةٍ مُشرقةٍ بالفرح،

وآخرٌ مُكروبٌ في قلبه، مُتألمٌ في روحه؛

واحدٌ يُشدِّدُ حقويه بالطاعة،

وآخرٌ يُنهي حياته بالذنب؛

واحدٌ يقضي ليله ونهاره والقرآن بين يديه،

وآخرٌ ينامُ ثملاً في زاويةِ حانوتٍ؛

واحدٌ ثابتٌ كالوتدِ على بابِ الدين،

وآخرٌ آثمٌ في طريقِ الكفر؛

واحدٌ مزدهرٌ، مُتعلمٌ، وذكيٌ